# التّثاقف العربي العثماني من خلال انضواء الجزائر تحت لواء الدّولة العثمانيّة

## دحض مغالطة مسّت وثيقة الاستغاثة بالأخوين عرّوج وخير الدّين

# The Ottoman Arab acculturation by the inclusion of Algeria under the banner of the Ottoman Empire

## Explanation of the error in the document soliciting the help of the two brothers, Arouj and Khaireddin)

**أ.د نعيمة رحماني 1***

**1جامعة تلمسان، الجزائر**

naima.rahmani@univ-tlemcen.dz

تاريخ الاستلام: 2023/01/04 تاريخ القبول: 2023/06/09 تاريخ النشر: 2023/08/20

**الملخص:**

تعسّرت الأوضاع بأهالي الجزائر جرّاء الاحتلال الإسبانيّ الّذي تمخّض عنه استغلال للموانئ، وابتغاء للضّريبة، وحظر لممارسة الجهاد البحريّ (اللّصوصيّة بالمفهوم الاستشراقيّ). الأمر الّذي جعل الأهالي يلتمسون المساعدة من الأخوين عرّوج وخير الدّين مُتطيِّرًا الشُّهرة وذائعا الصّيت، من خلال إرسال رسالة استغاثة إليهما. وقد عرفت تلك الرسالة مغالطات كثيرة من قبل الباحثين المسلمين والغربيين على السّواء. وبناء عليه وجدنا أنفسنا نتبنّى طرحا حول هذه المسألة مبنيّا على التّساؤلات التّالية: كيف كانت فاتحة التّثاقف بين الجزائر والدّولة العثمانيّة (الاستغاثة بالأخوين عروج وخير الدّين)؟ وما هي المغالطة التي عرفتها الوثيقة الثانية المدعّمة لرسالة أهالي الجزائر؟ وكيف يمكننا دحض تلك المغالطة بطريقة علمية؟

**الكلمات المفتاحية:** التّثاقف –الدّولة العثمانيّة – الوثيقة –الأخوان عرّوج وخير الدّين

**Abstract:**

Conditions became difficult for the Algerian people as a result of the Spanish occupation, which led to the exploitation of the ports, the continuation of taxes and the prohibition of the practice of maritime jihad

* **المؤلف المرسل:** أ.د نعيمة رحماني، **الإيميل:** naima.rahmani@univ-tlemcen.dz

(banditry in the orientalist sense). This prompted people to seek the help of the famous brothers Arouj and Khaireddin, sending them a message of distress.

This message has been subject to many misinterpretations by Muslim and Western researchers, and we found ourselves asking the following questions: How was the beginning of acculturation between Algeria and the Ottoman Empire (request for help to the two brothers Arouj and Khaireddin)? What are the contradictions found in the second document supporting the message of the Algerian people? How can these misinterpretations be scientifically refuted?

**Keywords:** The Ottoman Empire - the document - the two brothers Arouj and Khaireddin

كان الأخوان عرّوج وخير الدّين ذائعا الصّيت، حيث انشغلا بالجهاد في البحر، ونقل المسلمين من الأندلس إلى البلاد العربية، وقد ذكر ذلك أحمد بن محمّد بن علي بن سحنون الرّاشدي قائلا: "ولهم في ذلك أخبار مأثورة ومفاخر مشهورة... سيرتهم تحيِّر الألباب، وتُوقف العقول على التّعجّب من أمرها العجاب، ولما شاعت أخبارهم وحُمِدت في تلك النّاحية آثارهم، طمحت لهم الآمال."[1] وأدركهم وفد من مدينة بجاية لطلب الغوث، حيث ذكر المجاهد خير الدّين في مذكّراته أنّه طلع هو والشّهيد عرّوج ريّس باتّجاه مضيق سبتة، على أن يمرّا من هناك إلى الأندلس ليقوما بإنقاذ المسلمين، وفي تلك اللّحظات أدركهم وفد من مدينة بجاية ناقلاً رسالةً جاء فيها: "**إن**

[1] أحمد بن محمّد بن علي بن سحنون الرّاشدي، الثّغر الجمانيّ في ابتسام الثّغر الوهرانيّ، 2013م ، ص-ص.457-458.

**كان ثمّة مغيث فليكن منكم أيها المجاهدون الأبطال، لقد صرنا لا نستطيع أداء الصّلاة ولا تعليم أطفالنا القرآن الكريم، لِما نلقاه من ظلم الإسبان، فها نحن نضع أمرنا بين أيديكم، جعلكم الله سبيلاً لخلاصنا بتسليمه إيّانا إيّاكم، فتفضّلوا بتشريف بلدنا وعجّلوا بتخليصنا من هؤلاء الكفّار**."[2] لم يتقاعس الأخوان عرّوج ريّس وخير الدّين باشا في الردّ على الطّلب وإغاثة أهل بجاية عام 1512م من نير الإسبان، إذ ذكر المجاهد خير الدّين باشا في مذكّراته أنّهم وفدوا إلى بجاية في 2.033 بحّاراً و10 سفنٍ و150 مدفعاً وآلاف الأسرى الّذين كانوا يُجدِّفون، واشتبكوا مع الإسبان في معركة دامت ثلاث ساعات ونصف، انهزم فيها الكفّار، ثمّ لحق بهم قرابة 20.000 رجلٍ من أعراب البوادي لإجارتهم على العدوّ، فتحصّن الإسبان بالقلعة واستمرّوا في المقاومة 29 يوماً، وكان الأخوان على وشك الاستيلاء على القلعة لولا افتقارهم للمدافع الّتي تقصف الحصون وتفتح الثّغرات فيها. بعدها علما أنّ قوّات إسبانيّة كبيرة في طريقها إليهم فتركا بجاية، وارتدّا إلى جيجل[3] ليشتبكا مع القوّات الإسبانيّة القادمة، حيث استوليا على 10 سفن إسبانيّة، واتّجها بها نحو بجاية، وقاما بخداع الجنود الإسبان المتحصّنين داخل القلعة، إذ ظنّوا أنّ السّفن لإخوانهم الإسبان الّتي قدمت لنجدتهم، ففتحوا القلعة وتدفّقوا لاستقبالهم، وهكذا تمكّن الأخوان من الانتصار عليهم ودخول القلعة، وإذ ذاك قدِم جميع شيوخ وقوّاد المناطق المجاورة لبجاية مبايعين لهم،

---

[2] خير الدّين بربروس، مذكّرات خير الدّين بربروس، 2010م، ص.66.

[3] جيجل: أوّل مدينة جزائريّة حُرِّرت من الإسبان من قِبل الأخوين بربروس، وتختلف الرّوايات حول التّاريخ، حيث تذكر الأعوام 1510، 1513 و1514م.

ويُضيف المجاهد خير الدّين باشا: "ومن هنا انتصبتُ أنا وأخي ملكين على هذه البلاد."[4]

وإلى جانب إغاثة مدينة بجاية قام الأخوان عرّوج ريّس وخير الدّين ريّس بإغاثة العديد من المدن الجزائرية الّتي كانت تحت نير الإسبان مثل جيجل وتنس وغيرها، وقد عرضنا سابقاً رسالة أهل بجاية، نُضيف إليها شهادة خير الدّين باشا الّتي تؤكّد أنّ طلب الإغاثة لم يقتصر على سكّان مدينة الجزائر فقط، حيث ذكر: "عندما كنتُ مع أخي في مدينة جيجل **وصلت وفود عديدة من المدن الجزائريّة، وكان أهمّها وفد مدينة الجزائر الّتي كانت تُمثّل مركز البلاد**، كان الأهالي يشكون من ظلم الإسبان، ويرجون تدخّلنا لإنقاذهم."[5] وثمّة رأي آخر يؤكّد هذا الأمر ذكره الشّيخ **أحمد بن محمّد بن عليّ بن سحنون الرّاشديّ**، مشيراً إلى أنّ "الشّيخ العالِم سيّدي محمّد التّواتيّ قد خاطب أهل وهران لمّا رأى كثرة فسادهم وتقاعدهم عن حفظ بلادهم فنهاهم عن ذلك، وأمرهم باستقدام التّرك إلى بلادهم لِما تفرّس فيهم من الحزم، وسمع عنهم من القيام بالجهاد والحرص على هتك حرَم الكفرة، حيث كتب قصيدة تُبيِّن ذلك:[6]

يا أهل وهران انظروا نظر شفقــة  لبلدكم قبل أن تـــــــــــردّت
ولا يحمي مرساكم ضعاف رجالكم  ولا البدو، بل تحميه أهل الجزيرة
فإن لهم بالطّعن والضّرب خبــرة  وكم فتكوا بالكفر أكبر فتكـــــة
فلا أنكى للكفّار منهم وإنّهـــــم  لنُصرة دين الله أعظم نصـــــرة
عليكم بهم فاستعملوا في وصولهم  إليكم ذكا عقل وألطف حيلـــة

[4] خير الدّين بربروس، مصدر سابق، ص-ص.71-72.
[5] المصدر نفسه، ص.74.
[6] أحمد بن محمّد بن عليّ بن سحنون الرّاشديّ، مصدر سابق، ص-ص.457-458.

وفي هذا المقام وجب علينا أيضاً أن نتطرّق لمسألة إنقاذ مدينة الجزائر من قِبل المجاهد عرّوج ريّس، لكنّنا ألفينا تضارباً في الرّوايات، حيث ذكر المؤرِّخ توفيق المدنيّ أنّ المجاهد عرّوج ريّس قد قرّر الاستجابة للنّداء، وسار إلى مدينة الجزائر برًّا في قوّة مؤلَّفة من 800 من الأتراك، و3.000 من مجاهدي الجبال القبائليّة، بينما سار المجاهد خير الدّين باشا إلى مدينة الجزائر بحراً، ومعه 18 سفينة "قالبرة"، و03 سفن "بركنتي" تحمل 1.500 مجاهدٍ، فوصل المجاهد عرّوج ريّس أوّلاً ثمّ لحق به المجاهد خير الدّين ريّس، واستقبلتهم المدينة استقبال الفاتحين. ثمّ سار بعدها إلى مدينة شرشال فاستخلصها من الإسبان وعاد إلى مدينة الجزائر، وحدث هذا الأمر الجلل عام 1516م، وهو العام نفسه الّذي تُوفيَّ فيه ملك إسبانيا فرديناندو الكاتوليكيّ.[7] وعلى نقيض ذلك، ذكر المجاهد خير الدّين ريّس في مذكّراته أنّ المجاهد عرّوج ريّس قد خرج إلى مدينة الجزائر في 500 بحّار، وتركه وراءه في مدينة جيجل، ذاكراً: "عندما كان أخي عرّوج ريّس في طريقه لفتح الجزائر، غادرتُ جيجل متّجها إلى تونس الّتي كان سلطانها قد جاهر بعداوته لنا."[8] ونحن هنا إذ نُزكّي الرّواية الثّانية لأنّها مستقاة من مذكّرات أخ المعنيّ بأمر إنقاذ مدينة الجزائر، وبالتّالي، ومن منطلق ما ذكرناه سابقاً، يُمكننا القول أنّ تدخل المجاهد عرّوج ريّس والمجاهد خير الدّين ريّس في شؤون المدن الجزائرية لم يكن ذا نيّة مسبَقة ومُبيَّتة ومدبَّرة بل حدث الأمر نتيجة طلب الأهالي الإغاثة منهما لمحاربة الاستدمار الإسبانيّ الّذي استباحهم، حيث عملاَ على النّيل منه بغية استتباب الأمن الّذي ظلَّ مؤقّتاً طبعاً إلى حين الاستقلال النّهائيّ عام 1962م.

وبعد فترة استشهد المجاهد عرّوج ريّس والمجاهد إسحاق ريّس، حينها استعصى الأمر على أهالي الجزائر، حيث قويت شوكة الأعداء، خاصّة الإسبان،

---

[7] أحمد توفيق المدنيّ، حرب الثّلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، ص-ص.173-174.

[8] خير الدّين بربروس، مصدر سابق، ص.74.

ورغبةً من المجاهد خير الدّين ريّس في حماية البلاد والعباد من خطر التّوسّع الإسبانيّ والحفصيّ، اضطرّ إلى ربط مصيره ومصير البلاد بالدّولة العثمانيّة، فسعى مع أعيان مدينة الجزائر إلى الانضواء تحت لوائها، خاصّة وأنّها دولة مسلمة في أوج قوّتها، حينها توجّه وفد من أعيان البلاد يترأسّهم الفقيه العالِم أبو العبّاس أحمد بن عليّ بن أحمد، وبقيادة الحاج حسين، حاملين معهم رسالة إلى السّلطان سليم الأوّل تُعرب عن رغبة أهالي مدينة الجزائر في الانضواء تحت لواء الدّولة العثمانيّة، وقد عرضوا فيها الأوضاع العامّة الّتي شهدتها البلاد، خاصّة بعد طرد الإسبان للمسلمين من الأندلس وقيامهم بالتّجاوزات على سواحل شمال إفريقيا، والّتي انجرّ عنها احتلالهم لبعض المدن الساحليّة كبجاية ووهران، بحيث اضطرّ أهاليها لمجاراتهم حفاظاً على أرواحهم وأموالهم، ثمّ أشادوا بأعمال الأخوين الشّهيد عرّوج ريّس والمجاهد خير الدّين ريّس، وتوعّدوا بطاعة السّلطان وبذكر اسمه في الخطبة والسّكّة[9] **(ينظر الملحق رقم 01)**. ويُعزّز ما ذكرناه الأحداث الّتي ذكرها المجاهد خير الدّين باشا في مذكّراته قائلاً: "أوفدتُ حاجّي حسين آغا الّذي كان أوثق رجالي إلى سيّدي السّلطان سليم خان، وبعد واحد وعشرين يوماً من رحلة بحريّة، وصل الآغا إلى لؤلؤة العالم إسطنبول... فاستقبله السّلطان في قصره السّاحليّ، ووضع حسين آغا بين يدي السّلطان الهدايا المتواضعة... مكث الآغا في عرش العالم إسطنبول واحداً وأربعين يوماً... وعندما أزِفت ساعة رحيلهم، أمر السّلطان أن تمرّ السّفن الجزائريّة قريباً من قصره لكي يتفرّج عليها، فقامت السّفن بالاستعراض بين يديه وهي تطلق قذائفها تحيّةً له... وقبل مغادرته لإسطنبول، قام الآغا بزيارة وداع للسّلطان... وفي هذه الزّيارة

[9] فاضل بيات، البلاد العربيّة في الوثائق العثمانيّة، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجريّ/السادس عشر الميلاديّ، ط1، 2019م، ص.28.

سلّمه السّلطان فرماناً كان قد كتبه بيده، ورد فيه أمر تعييني بيلرباياً على الجزائر، ثمّ سلّمه سيفاً مرصّعاً وخلعةً مذهّبةً ورايةَ الإمارة... عندما غادر حسين آغا إسطنبول... قام... بزيارة مجاملة لأميرال السّفن البندقية، وقال له: "لقد صارت الجزائر تابعة للسّلطان سليم، وسيّدي خير الدّين باشا بيلرباياً عثمانيًّا عليها، كما أنّ أسطولنا صار قطعة من الأسطول العثمانيّ... وصل حسين آغا إلى الجزائر.... شعرتُ بسرور عارم يغمرني، لن يتمكّن الإسبان من إزعاجي بعد اليوم، لأنّ السّلطان الكبير سليم خان يسندني... وكافأتُ حسين آغا على حسن سفارته وأدائه لمهمّته على أكمل وجه."[10] الملاحَظ هنا أنّ المجاهد خير الدّين باشا قد تحدَّث عن إيفاد حسين آغا إلى إسطنبول في مهمّة، ولكنه لم يأت على ذكر رسالة أعيان الجزائر، وهنا قد تكون المهمّة الّتي أشار إليها هي إرسال الرّسالة إلى السّلطان سليم الأوّل بغية الانضواء تحت لواء الدّولة العثمانيّة، وما يُعزِّز رأينا قوله: "لن يتمكّن الإسبان من إزعاجي بعد اليوم، لأنّ السّلطان الكبير سليم خان يسندني... فكلّ ما أطلبه منه لن يتردّد في إجابتي بكرمه وعنايته."[11] وقبلها قول حسين آغا لأميرال السّفن البندقيّة "لقد صارت الجزائر تابعة للسّلطان سليم، وسيّدي خير الدّين باشا بايلرباياً عثمانيًّا." وفي الصّدد نفسه لا يفوتنا أن نذكر بأنّه قد ورد في مؤلَّف "حرب الثّلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا" للمؤرِّخ أحمد توفيق المدنيّ أنّ المجاهد خير الدّين باشا قد قرّر البقاء على كرسيّ الدّولة إلى أن يتّخذ السّلطان العثمانيّ قراره فيما عرضه عليه أهالي الجزائر بواسطة الوفد الّذي سار إلى القاهرة، حيث كان السّلطان سليم مقيماً هناك، وكان الوفد تحت رئاسة الحاج حسين.[12] وهنا نلمح تناقضاً بين ما جاء به المؤرِّخ وبين ما أدلى به المجاهد خير الدّين باشا في مذكِّراته من أنّه أرسل الوفد إلى إسطنبول وليس إلى

---

[10] خير الدّين بربروس، مصدر سابق، ص-ص.95-98.

[11] المصدر نفسه، ص.98.

[12] أحمد توفيق المدنيّ، مرجع سابق، ص-ص.197-198.

القاهرة. قبِل إذاً السّلطان سليم الأوّل العرض، وأمر بإرسال قوّة من الإنكشاريّة مؤلّفة من 2.000 جنديٍّ مع العتاد والمؤن الضّروريّة. وبناءً عليه تمكّن المجاهد خير الدّين باشا من الإغارة على تونس بحراً للحدّ من عداء الحاكم الحفصيّ أبو عبد الله محمّد بن الحسن المتوكّل (القرن 14م-1526م)، وألحق الهزيمة بحاكم تلمسان أبو حمو موسى الثالث الّذي اضطرّ إلى قبول ضريبة قُدّرت 10.000 دركة ذهبيّة.[13] ولتبيّن الأحداث أكثر نعرض ترجمةً لرسالة أعيان الجزائر إلى السّلطان سليم الأوّل، الّذين أشادوا بمآثر الإخوة عرّوج ريّس وإسحاق ريّس وخير الدّين ريّس، وناشدوا السّلطان انضواء الجزائر تحت لواء الدّولة العثمانيّة، وإبقاء المجاهد خير الدّين ريّس على رأسهم من أجل حمايتهم من الغزاة الإسبان، وكان ذلك بتاريخ 925هـ/1519م، حيث ورد في الرسّالة ما يلي:

**"المكتوب الوارد من قاضي الجزائر وخطيبها وفقهائها وأئمّتها وتجّارها وأمنائها وعامّة أهلها"**

**إلى المقام السّلطاني العاليّ**

**"هذا ما كتبه وأبلغه عبيدكم في مدينة الجزائر بعد الدّعاء بالسّعد والنّصر الّذي يوصل إلى أقصى الأماني:**

**إنّ لمقامكم العظيم عندنا منزلةً عظيمةً إلى درجة نعترف بوجوب عهدكم علينا ولزومه، ونُجلّ عتبتكم السّامية بحيث تعجز الرّسالة عن الوفاء بحقّه، نحن فرحون بأيّام سعادتكم ومستبشرون بزمام عبوديّتكم ومنقادون لأمركم، ونعتمد عليكم**

[13] ناصر الدّين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثمانيّ، 2014م، ص.28.

اعتماداً باطنه وظاهره مخلصان وأوّله وآخره مستحسنان، نُصغي إلى أمركم، ولا نملك إلاّ غاية التّعظيم لجنابكم المعظّم، وندعو أن يكون مقامكم الشّريف مشرَّفاً. والأهوال الّتي ألمّت بهؤلاء العبيد من أعداء الدّين والنّصر الّذي حقّقه المؤمنون أحباب الله، والهزيمة الّتي أُلحقت بالكفّار أعداء الله هي أخبار طويلة وحوادث جسيمة وقد تمخّض عنها ما يلي: إنّ الطّائفة الطّاغية بعد أن استولوا على بلاد الأندلس انتقلوا إلى قلعة وهران ثمّ توجّهوا إلى غيرها من البلاد بغية الاعتداء عليها، فبعد استيلائهم على بجاية وطرابلس لم تبق أمامهم غير مدينتنا الجزائر، وأصبحنا غرباء وحائرين كنقطة في وسط الدّائرة.

وضيّق أهل الكفر الخناق علينا من كلّ النواحي، إلاّ أنّنا تشبّثنا بالدّين/الحبل المتين، ولجأنا إلى الله، ولكنّ الطّائفة الطّاغية سعوا إلى إدخالنا تحت سيطرتهم، ونظراً إلى الأمر رأينا أنّ المحن والشّدائد قد اشتدّت علينا، واضطررنا إلى التّصالح مع أهل التّثليث خوفاً على أرواحنا ونسائنا وأولادنا وأموالنا، وقمنا بمجاراتهم خوفاً من السّبي والتّشتيت، إنّا لله وإنّا إليه راجعون. وبعد هذه المضايقة جاء الكفّار واستولوا على وهران وبجاية وطرابلس، وكانوا ينوون احتلالنا بالسّفن وإيقاعنا أسرى بأيديهم، وتشتيت شملنا، إلى أن جاءنا فجأة ناصر الدّين وحامي المسلمين والمجاهد في سبيل الله أرّوج (عرّوج) بك مع ثلّة من مجاهديه. وقمنا نحن باستقباله بحفاوة وتقدير، لأنّه وبفضل الله خلّصنا من خوفنا. وكان أرّوج بك قبل أن يأتينا قد قصد قلعة بجاية متوجّها من مدينة تونس، وذلك بغية تحريرها من أعداء الدّين وتسخيرها للإخوان المسلمين، فقام وإلى جانبه المجاهد الصّالح الفقيه أبو العبّاس أحمد بن القاضي بمحاصرة القلعة المذكورة، وزلزلوا أركانها وهدموا بنيانها،

وعند دخول القلعة شاهد الكفّار بأنّ بنيتهم قد اختلت وأيقنوا أنّ أجلهم قد دنا. وهاجم المسلمون القلعة المذكورة وسيطروا على برج عظيم البناء فيها، ودخلوا القلعة عنوةً، فلاذ بعض الكفّار بالفرار منها، وعجّل الله تعالى وصول أرواح البعض الآخر منهم إلى النّار فوقعوا قتلى. وخلاصة القول أنّ المسلمين قاتلوا أولئك الكفّار بكلّ أنواع القتال وحاربوهم آناء اللّيل والنّهار، ومن الشّروق إلى الغروب، إلى أن قامت جماعة من أصحاب أرّوج بك المشار إليه بتركه، فبقي هو مع جماعة قليلة بين الكفّار. فقصدنا المشار إليه والتقى بنا فكان السّبب في إنقاذنا من أعداء الدّين. إلاّ أنّ المشار إليه أرّوج بك استُشهد في معركة مدينة تلمسان فرحمة الله عليه، فخلفه أخوه المجاهد في سبيل الله أبو التّقى خير الدّين فأصبح خير خلف لخير سلف، وقام بحمايتنا. ولم نُشاهد منه غير العدل الكامل وإتّباع الشّرع الشّريف النّبويّ. ويقوم المذكور أيضاً بتعظيم مقامكم العالي غاية التّعظيم ويسعى في أمر الجهاد ويبذل ماله وروحه في رضى ربّ العباد، ويحرص على إعلاء كلّمة الله، وكلّ ما يتمنّاه هو التّعلّق بسلطنتكم العليّة وتقديم كمال الاحترام بكم، ولهذا فإنّ محبّتنا تّجاهه أصبحت خالصةً وثابتةً. وكيف لا نُكنّ له المحبّة وقد حلّ بيننا، وشمّر عن ساعديه، وجاهد إلى جانبنا في سبيل الله بنيّة خالصة وقلب صادق. وحرص على التّقيّد بأمر الله تعالى في الشّدة والرخّاء وهو كالكوكب الوهّاج والدّليل واضح المنهاج في العقيدة الإيمانيّة. واليوم فإنّ ما يُريد هؤلاء العبيد إبلاغه للمقام العالي هو: إنّ أميرنا المذكور خير الدّين قد عزم على التّوجّه إلى طرفكم العالي، وقد توسّل إليه

**أعيان البلدة المذكورة لثنيه عن السّفر، نحن الآن نُعاني من ضعف شديد، وتُحدق بنا الكارثة فنخاف من الكفرة الطّاغية لأنّ النّصارى ينوون شرًّا بنا. ولهذا السّبب فقد تمّ إيفاد الفقيه العالم المدرِّس السّيد أبو العبّاس أحمد بن عليّ بن أحمد إلى عتبتكم العالية، نحن وأميرنا المذكور خدم لجنابكم الأعلى، كما أنّ أهالي إقليم بجاية والغرب والشّرق هم في خدمة مقامكم الأعلى. وعند وصول المذكور حاملاً هذه الرسالة سيقوم بتبليغ مقامكم الأعلى عن الأمور الأخرى المتعلّقة بهذه البلاد. والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته." حُرِّر في أوائل شهر ذي القعدة من عام 925هـ، 25 تشرين الأوّل/أكتوبر 1519م.**[14]

تستوقفنا هنا مسألة مهمّة جدًّا يتداولها الباحثون كثيراً بحيث أصبحت من الرّواسب الثّقافيّة المسلَّم بها، حيث تبيّن لنا وجود مغالطة تتعلّق بما ذكره المؤرِّخ التّركيّ أحمد آق كوندز من أنّه قد تمّ تدعيم رسالة أهالي الجزائر برسالة أخرى خُطّت من قِبل شخصين هما: عُبيد الله المنزوي وخادمه محمّد بن منصور الحلبيّ، حيث ذكر ما يلي: "**وقد تمّ إرسال رسالة أخرى من قِبل عُبيد الله المنزوي والمعتكف في الجامع الأعظم في الجزائر وخادمه محمّد بن منصور الحلبيّ، وقد شرحا في هذه الرّسالة مدى ضخامة المحن والمشكلات الّتي صادفوها قبل وصول خير الدّين حتّى أشرفا على الهلاك.**"[15] وهنا تكمن المغالطة المهمّة، حيث قمنا بمقارنة ترجمة المؤرِّخ التّركيّ أحمد آق كوندز مع ترجمة المؤرِّخ العراقيّ فاضل بيات، فخلصنا إلى أنّ المؤرِّخ التّركيّ أحمد آق كوندز لم يُفسِّر التّرجمة العثمانيّة بالشّكل المناسب، حيث

---

[14] فاضل بيات، مرجع سابق، ص.29.

[15] أحمد آق كوندز، الوثائق تنطق بالحقائق، 2014م، ص.135.

اعتبر عبارات الثّناء الموجودة في الرّسالة اسم شخص ثانٍ، وخلُص إلى أنّ هناك رسالة ثانية أرسلها شخصان هما: **عبيد الله** المنزوي والمعتكف في الجامع الأعظم في الجزائر وخادمه **محمّد بن منصور بن عليّ الحلبيّ**، بينما الصّحيح أنّهما شخص واحد وهو **محمّد بن منصور بن عليّ الحلبيّ**. أمّا "**عبيد الله المنزوي والمعتكف في الجامع الأعظم**" فهي عبارات تشريف تسبق الاسم. وللتّوضيح أكثر نُورد العبارة باللّغة العثمانيّة ثمّ ترجمتها الصّحيحة باللّغة العربيّة.

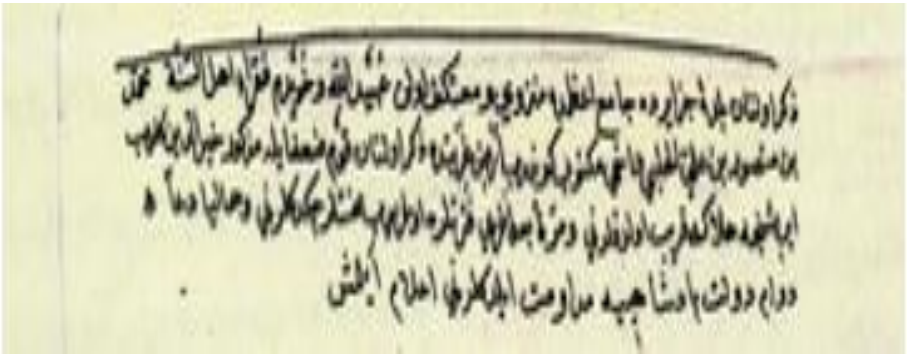

**الصّورة رقم 47: جزء من رسالة أعيان الجزائر يتحدّث عن الرّسالة الثّانية المرافقة لرسالة أهالي الجزائر إلى السّلطان سليم الأوّل.**[16]

**"ذكر أولنان بلدهء جزايرده جامع أعظمده منزوي ومعتكف أولن عبيد الله وخويدم فقراء أهل السنّة محمّد بن منصور بن علي الحلبي داخي مكتوب كوندروب،**

[16] فاضل بيات، مرجع سابق، ص.319.

**أرض غربتده ذكر أولنان قوم ضعفا أيله مذكور خير الدّين كلّوب إيريشنجه هلاكه قريب أولدقلرني ومرة بعد أخرى فترتلره أوغريوب محنتلر جكدكلّرني وحالياّ دعاء دوام دولت بادشاهييه مداومت إيلدكلّرني أعلام إيلمش.**"

وترجمتها الصّحيحة إلى اللّغة العربيّة كالتّالي: "**كما أرسل عبيد الله المنزوي والمعتكف في الجامع الأعظم ببلدة الجزائر المذكورة وخويدم فقراء أهل السّنة محمّد بن منصور بن عليّ الحلبيّ هو الآخر رسالة أبلغ فيها أنّ القوم المذكورين عندما قصدهم خير الدّين المذكور كانوا يُعانون من الضّعف وعلى وشك الهلاك في أرض الغربة وقد تعرّضوا إلى الضّربات والمحن مرّةً تلو الأخرى، ويُواصلون اليوم الدّعاء لدوام الدّولة السّلطانية.**"[17] فالعبارة: "**عبيد الله المنزوي والمعتكف في الجامع الأعظم ببلدة الجزائر المذكورة وخويدم فقراء أهل السّنة**"، هي ثناء وتقديم يسبق الاسم محمّد بن منصور بن عليّ الحلبيّ، وكانت هذه العبارات متداولةٌ في الرّسائل في تلك الفترة، غير أنّ ترجمة المؤرّخ التّركيّ أحمد آق كوندز قد أضافت شخصيّة ثانية، وساقت مغالطةً لازالت متداولةً إلى يومنا هذا. نُضيف أيضاً أنّه قد ورد في التّرجمة العبارة التّالية: "**أنّ القوم المذكورين عندما قصدهم خير الدّين المذكور كانوا يُعانون من الضّعف وعلى وشك الهلاك في أرض الغربة وقد تعرّضوا إلى الضّربات والمحن مرّةً تلو الأخرى.**" فالقوم هنا هم أهالي الجزائر الّذين استغاثوا بالمجاهد خير الدّين ريّس ضدّ الإسبان، وليس عبيد الله المنزوي وخادمه محمّد بن منصور بن عليّ الحلبيّ، كما ذكر المؤرّخ التّركيّ أحمد آق كوندز: "**وقد شرحاَ في هذه الرّسالة مدى ضخامة**

[17] المرجع السّابق، م8، ص.32.

**المحن والمشكلات الّتي صادفوها قبل وصول خير الدّين حتّى أشرفاَ على الهلاك.**"[18]

وعبارة: "**في أرض الغربة**" لا تعود على شخص عبيد الله المنزوي وخادمه محمّد بن منصور بن عليّ الحلبيّ بتفسير المؤرِّخ التّركيّ، بل تعود على أهالي الجزائر الّذين راسلوا السّلطان واستعطفوه على أساس أن لا عون لهم ولا ظهير، حيث شبّهوا أنفسهم في الرّسالة بالغرباء في فضاء واسع كنقطة في وسط دائرة: "**إنّ الطّائفة الطّاغية بعد أن استولوا على بلاد الأندلس انتقلوا إلى قلعة وهران ثمّ توجّهوا إلى غيرها من البلاد بغية الاعتداء عليها، فبعد استيلائهم على بجاية وطرابلس لم تبق أمامهم غير مدينتنا الجزائر. وأصبحنا غرباء وحائرين كنقطة في وسط الدّائرة.**" فلم يجدوا من يُساندهم ولا من يُكاتفهم من أجل التّصدّي للإسبان، خاصّة بعدما تمّ الاستيلاء على وهران وغيرها من المدن السّاحليّة.

أمّا المسألة الثّانية فهي ثانويّة ولكنّها مهمّة أيضاً، مفادها أنّ المؤرِّخ أحمد آق كوندز أكّد على أنّ رسالة أعيان الجزائر إلى السّلطان العثمانيّ سليم الأوّل قد تُرجمت من قِبل المجاهد خير الدّين باشا قبل أن تُرسل، حيث ذكر: "**وتُرجم المكتوب الخاصّ بأهالي الجزائر من قِبل خير الدّين شقيق المرحوم أرّوج بك.**"[19]، وبعد قراءتنا لمذكّرات خير الدّين باشا لم ترِد فيها أيّ إشارة تُثبت أنّه هو من ترجمها، حيث يتبادر إلى ذهننا السّؤال التّالي: إذا كان مترجم الرّسالة هو المجاهد

[18] أحمد آق كوندز، مرجع سابق، ص.135.

[19] المرجع السّابق، ص.135.

خير الدّين باشا، كما ذكر المؤرِّخ التّركيّ، فمن الّذي ترجم الرّسالة الثّانية الّتي دعّمت رسالة أهالي الجزائر؟ هل هو المجاهد خير الدّين باشا أيضاً؟ هل فرغ من كلّ أعماله الجهاديّة ليتفرّغ لعمليّة التّرجمة؟ وهل شحّ النّسّاخ والمترجمون لكي يقوم بعملهم؟. وتعزيزاً لِما ذكرناه يُمكننا أن نسوق مثالاً نراه مقنعاً إلى حدّ ما: فإذا كان المجاهد خير الدّين باشا يستطيع التّرجمة من العربيّة إلى العثمانيّة، والكتابة بالعثمانيّة بأسلوب جيّد، فلماذا لم يُدوِّن مذكِّراته الّتي طلبها منه السّلطان العثمانيّ لوحده؟ لماذا أملاها على البحَّار المجاهد والأديب والشّاعر **سيد عليّ المراديّ** ليخطَّها بأسلوبه، حيث ذكر المجاهد خير الدّين باشا في مذكِّراته: "**في أثناء اتّصالي بالسّلطان سليمان خان، ورد إليّ فرمان سلطانيّ، هذا نصّه: "كيف خرجت أنت وأخوك عرّوج من جزيرة ميدلي وفتحتم الجزائر؟ وما الغزوات الّتي قمتم بها في البرّ والبحر حتّى الآن؟ دوِّن كلّ هذه الحوادث بدون زيادة أو نقصان في كتاب، وعندما تنتهي أرسل إليّ نسخة لأحتفظ بها في خزينتي". عندما استلمتُ هذا الأمر، استدعيتُ أحد أرباب القلم، زميلي في الكثير من غزوات البحر "المراديّ"، وأخبرته بفرمان السّلطان، فبدأنا على الفور في التّدوين، أنا أملي و"المراديّ" يكتب.**"[20] نستشفّ إذاً أنّ كاتب المجاهد خير الدّين بربروس هو زميله "المراديّ"، وبناءً عليه نجد أنفسنا أمام عدّة فرضيّات، فقد يكون البحَّار المجاهد والأديب والشّاعر **سيد عليّ المراديّ** هو مترجم رسالة أعيان الجزائر إلى اللّغة العثمانيّة، إذا كان يُتقن اللّغة العربيّة طبعاً، ويُمكن أن تكون الرّسالة قد كُتبت أصلاً باللّغة العثمانيّة بناءً على إملاء ما جاء فيها باللّغة العربيّة، على أساس أنّ نسخة الرّسالة باللّغة العربية غير موجودة. وقد يكون أحد المترجِمين الموجودين في

[20] خير الدّين بربروس، مصدر سابق، ص.20.

قصر المجاهد خير الدّين باشا قد ترجمها من اللّغة العربيّة إلى اللّغة العثمانيّة. لكنّ الرّاجح لدينا أنّ الرّسالة كُتبت باللّغة العربيّة وتُرجمت في الدّيوان الهمايونيّ إلى اللّغة العثمانيّة، على أساس أنّ الرّسائل كانت تصل إلى السّلطان العثمانيّ من كلّ الولايات الّتي كانت تحت لوائه وبلغات محليّة مختلفة، وكانت تُترجم في الدّيوان الهمايوني من قِبل مترجمين مختصّين، كما كانت تُرسل فرمانات إلى تلك الدّول بلغاتها المحلّيّة أيضاً، ودليل ذلك إرسال العديد من الفرمانات السّلطانيّة إلى جزائر الغرب باللّغة العربيّة.

**خاتمة:**

لقد حاولنا من خلال هذا البحث توضيح المغالطة التي عرفتها رسالة الاستغاثة من أهالي الجزائر الى الدولة العثمانية، بناء على ما ورد في الرسالة واعتمادا على ترجمة المؤرخ فاضل بيات والمؤرخ التركي أحمد آق كوندز، وتبيّن لنا فعلا وجود تلك المغالطة الخاصة بسوء فهم عبارات التقديم والثناء التي تسبق الاسم في تلك الفترة كما ذكرنا ذلك سابقا. إضافة إلى أننا قمنا بمناقشة مسألة ترجمة الرسالة من اللغة العربية الى اللغة العثمانية، وخلصنا إلى استنتاج مفاده أنّ الرّسالة كُتبت باللّغة العربيّة وتُرجمت في الدّيوان الهمايونيّ إلى اللّغة العثمانيّة وقد علّلنا استنتاجنا في المتن.

المصادر والمراجع:

1-أحمد آق كوندز، الوثائق تنطق بالحقائق، 2014م، وقف البحوث العثمانيّة، إسطنبول.

2-أحمد بن محمّد بن علي بن سحنون الرّاشدي، النّغر الجمانيّ في ابتسام الثّغر الوهرانيّ، ط1، 2013م تحقيق وتقديم الشّيخ المهديّ البوعبدلي، عام المعرفة للنّشر والتّوزيع.

3-أحمد توفيق المدنيّ، حرب الثّلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر.

4-خير الدّين بربروس، مذكّرات خير الدّين بربروس، ط1، 2010م، ترجمة محمّد دراج، شركة الأصالة للنّشر والتّوزيع، الجزائر،.

5-فاضل بيات، البلاد العربيّة في الوثائق العثمانيّة، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجريّ/السادس عشر الميلاديّ، ط1، م8، 2019م، مركز إرسيكا، إسطنبول، تركيا.

6-ناصر الدّين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثمانيّ، 2014م، البصائر للنّشر والتّوزيع، وزارة الثّقافة، الجزائر.

**الملحق:**

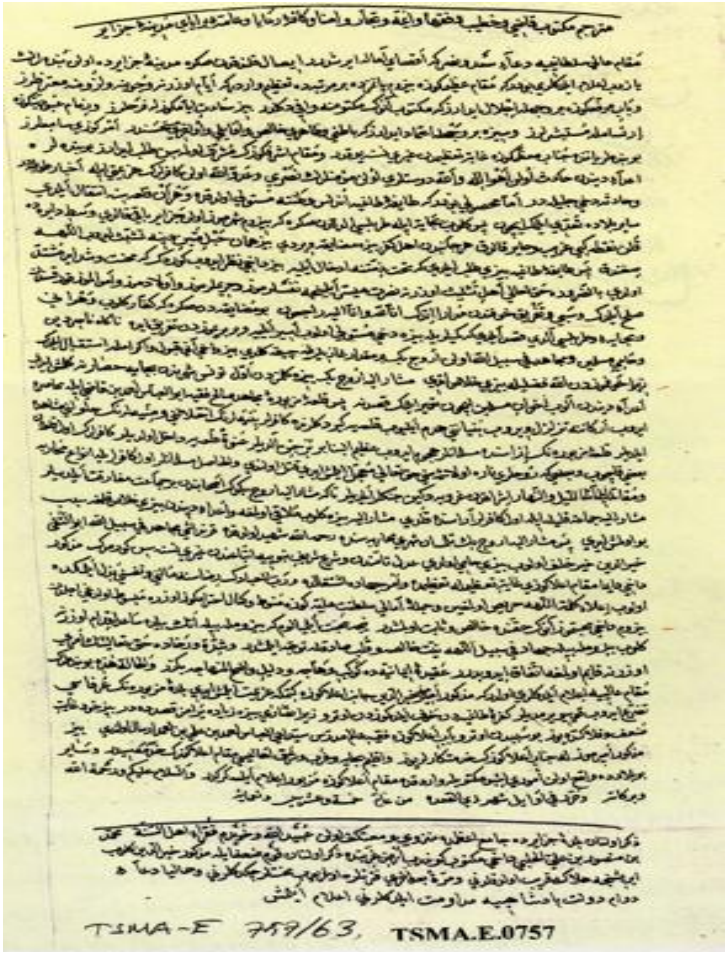


**<u>الملحق رقم 01</u>:** رسالة أهالي الجزائر إلى السّلطان العثمانيّ سليم الأوّل عام 1519م يناشدونه الانضواء تحت لواء الدّولة العثمانيّة.[21]

[21] فاضل بيات، مرجع سابق، م08، ص319.